تقديم

الحمد لله الذى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب ، وأنزل عليهم الكتب وجعل الشرائع كاملة بعيدة عن النقص والارتياب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ربه فكشف به النقاب وأوضح للناس معضلات الكتاب ، وجعلهم على المحجة البيضاء لا سرب فيها ولا سراب ..... وبعد :

فهذه الدراسة تأتى فى توقيت خطير بالنسة للمصريين والعرب والمسلمين ، حيث قدر لمؤسسة لعبت قديما أدوارا مشرفة فى مواجهة الفساد والتنطع والظلم والانحلال والفوضى والعدوان ألا وهى مؤسسة الأزهر الشريف أن تتحمل عبء هذه المرحلة بحلوها ومرها على كافة المستويات والأصعدة فى الداخل والخارج ، لذا جاء عنوان الدراسة معبرا عن الدور المنوط بالأزهر الشريف دون إفراط أو تفريط ، فواجبه الحقيقى أن ينزع فتيل الأزمات من عنف وفرقة ونزاع ، وأن يربى الأجيال على القيم والأخلاق ، وأن يغرس معالم الدين الحقيقية القائمة على الوسطية فى نفوس الشباب والمسلمين عموما ، وأن يجلى حقيقة الإسلام النورانية للعالمين جميعا بطريقة ساحرة تأخذ بمجامع القلوب.

لقد حاولت جهدى أن أقدم شيئا رغم يقينى بضحالة ما سأقدمه من طرح وتنظير ، ولكن انشغالى بخطورة الموضوع وضرورة معالجته هو الذى دفعنى لإبداء الرأى بالكتابة فيه وخوض لجاجه ، وبحكم تخصصى فى التاريخ الإسلامى حاولت أن أقف على مواضع مؤثرة وجوهرية فى التاريخ لإثبات عنوان البحث .

لقد هالنى ما نحن فيه حاليا ، وما كان عليه الأزهر قديما ! وأفزعنى ما وقفت عليه من أن الأزهر كان عماد العلوم الطبيعية منذ نشأته ! ، وظل يتوارثها عبر العصور حتى انتقلت لأوربا ، ثم ضربنا الجهل فوجدنا بغيتنا عند الغرب الذى أخذ حضارتنا التى لم نحسن إليها ولم نحافظ عليها .

أفزعنى أن يهودياً مثل موسى بن ميمون فى العصر الأيوبى يحاضر بالأزهر ويدرس الطب ، ونحن لا زلنا نتنازع فى حكم دخول النصرانى المسجد أجائز أم لا ؟.

أفزعنى الجهود الجبارة التى قام بها علماء الأزهر دفاعا عن الدين ، وردا للعدوان ، ومنعا للظلم ، ونشرا للأخلاق والفضائل .

أحزننى ما نحن فيه حاليا من حالة تشويه للرموز التى أفنت عمرها فى الدرس والتنقل والترحال لتبصير الأمة بتراثها ، وكابدت المرارة فى سبيل نهضة الأمة ورقيها . ثم نهيل التراب عليها بأبسط العبارات !! فنتهم هذا بالمروق ، وذاك بالزندقة ، وثالث بالضلال ، ورابع بالبدعة ، وخامس بالتحول عن الإسلام !!! فى حين أن من يبسط لسانه فى الأكابر من علماء الأزهر ما أراه يبلغ عشر معشار أصغر طالب من طلبة من يتحدث عنهم .

لقد انشغلت بالأزهر وبأئمته منذ ما يقرب من عشرين عاما بهرنى الأستاذ الإمام محمد عبده ، والعلامة أبو زهرة ، وشيخنا محمد الغزالى رحمه الله ، وشيخ مشايخنا محمد بخيث المطيعى ، والعلامة شلتوت والمراغى والطهطاوى فاقتنيت ما أستيطع أن أقتنيه من كتب هؤلاء الأكابر ، وبدأت فى الكتابة عن الأزهر وتاريخه منذ عشر سنين ، ثم عن الشخصيات المؤثرة فشرعت بالكتابة عن الأستاذ الإمام محمد عبده ، ثم عن شيخنا محمد الغزالى فى كتاب وسمته بـ" الجوهر الغالى فى الذب عن شيخنا محمد الغزالى " ، وجاء هذا الموضوع ليحرك بداخلى السواكن ، ورغم ضيق الوقت وانشغالى بأبحاث ما بعد الدكتوراة إلا أننى أصررت على المشاركة فى هذا الموضوع -الذى طرحه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على المتخصصين - لأنال شرف الكتابة عن هذه المؤسسة العظيمة ودورها الرائد ، ثم بعد ذلك لعل جهدى المتواضع يفيد ولو بالقليل .

كنت أتمنى أن يسعفنى الوقت لمطالعة فتاوى دار الإفتاء والوقوف على نوازلها للخروج بدراسة وافية ومفصلة تدرج فى الكتاب عن العلاقة بين الأزهر والأقباط فى إطار الشرع الحنيف والواقع المعاش ، كما تمنيت أن أعالج العلاقة بين أتباع المذاهب الفقهية والعقدية فى إطار التعايش السلمى للمسلمين تحت مظلة ديننا العظيم ، ولكن قدر الله وما شاء فعل فلعل بعض النابهين ينتحى لهذين الأمرين وحسبى أننى نبهت .

لقد قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول سبقتها بمقدمة وتمهيد ، وشفعتها بخاتمة ونتائج.

ففى التمهيد وقفت مع مصطلحات البحث لأتمكن من معالجة صحيحة لعنوانه قدر الاستطاعة ، وهى القيم ، والتعايش ، والواقع والمأمول .

وفى الفصل الأول ناقشت نشأة الجامع الأزهر وتطوره ودوره بصفة عامة حتى العصر الحالى .

وفى الفصل الثانى تحدثت عن دور الأزهر فى ترسيخ القيم والمتمثلة فى الدين والعلم والأخلاق...

وفى الفصل الثالث فصلت الحديث عن نماذج وأحداث عبر التاريخ تجسد دور الأزهر فى تحقيق التعايش السلمى .

وفى الفصل الرابع حاولت ان أطرح بعض ما أريده وأحلم به وأتمناه أن يتحقق للأزهر تحت مسمى " المأمول" .

وفى الخاتمة ذكرنا بعض ما توصلنا إليه من نتائج .

والله من وراء القصد

د. عبدالباقى السيد عبدالهادى

obeikandl.com

obeikandl.com

التمهيد : وقفات مع المصطلحات

- القيم .
- التعايش السلمى.
- الواقع.
- المأمول.

obeikandl.com

obeikandl.com

يمثل الوقوف على معانى المصطلحات أمرا مهما فى معالجة أى دراسة لإزالة ضبابيتها وإشكالياتها ، ومن ثم كان لازما علينا أن نقف مع المصطلحات التى وردت فى عنوان الدراسة ، لا سيما أن بعضها مصطلحات حادثة كالتعايش السلمى على ما سنوضح :

أولا : القيم : هى الفضائل الدِّينيّة والخُلقيّة والاجتماعيّة التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنسانيّ ، ومن ذلك قوله تعالى " هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا " ؛ وقول القائل : " يحثُّ الكاتبُ في كتاباته على القيم الأخلاقيّة ".

والقيم لغةً : الثبات والدوام والاستِمرار على الشيء [1]

واصطِلاحًا :"حُكم يصدُره الإنسان على شيءٍ ما، مُهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، مُحددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه مِن السلوك[2]".

وتتمثل أنواع القيم في الفكر الإسلامي فى الآتى :

1- قِيم عُليا؛ تسمو بالإنسان وترفع مُستواه على المخلوقات (الحق – العُبودية – العدل).

2- قِيم حضارية؛ مُرتبِطة بالبِناء الحضاري للأمة (الحرية – المُساواة – العمل – الأمن).

3- قِيم خلُقية؛ مُرتبِطة بتكوين السلوك الخلُقي للإنسان المُسلِم لِيُصبِح سجية وطبعًا (الصدق – الأمانة – البِر).

أما عن أسس القيم في الفكر الإسلامي فهى :

1- اعتقادي؛ تُبنى عليه القِيم في الإسلام .

2- علمي؛ مُرتبط بالقوانين العلمية الواقعية .

3- إنساني؛ ما يتعلق بالميل النفسي لدى الإنسان.

4- الطبيعة الإنسانية؛ مِن حيث تقبل التوجيه والتطوير نحو الخير والشر .

5- حرية الإرادة الإنسانية؛ وهي الأساس في تقييم سلوك الفرد وأعمالِه .

6- المسؤولية الإنسانية، والجزاء الأُخروي [3].

إن بعض الأمم تستمدُّ قوَّتها من مالها وثَرَوَاتها، والبعض الآخر تستمدُّها من النُّظُم والقوانين التي تقوم عليها والبعض من القوة التي تملكها وهكذا، لكن أمَّة الإسلام قوتها الكبرى وميزتها في

---

[1]- أنظر: ابن منظور ، لسان العرب ؛ 12/ 500 ؛ الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ؛ 4/ 170.

[2]- نقلا عن : القِيم بين الإسلام والغرب ، ص 15.

[3]- نقلا عن : القِيم بين الإسلام والغرب ، ص 106-116.

obeikandl.com

مبادئها وقِيَمها، وكل ما يضاف إليها من أرقام في العلم والتقدُّم والحضارة والبناء وغيرها يزيدها قوة إلى قوتها، لكن هذه الأرقام مهما بلغت فلن تعطي الرقم الحقيقي للأمة، إذا خلا مكان القِيَم؛ فهو الرقم الحقيقي والرئيس.

فلذلك خسارة هذه الأمة لمبادئها – حتى أفرادها – هو خسارة للذات، وليس هناك خسارة أعظم من أن يخسر المرء ذاته ، فبكل أسف – وإن لم يشعر – تتحوَّل حياته إلى صورة من صور البهيمية أو النباتية، والتي ليس فيها إلا تنفُّس ونمو وتكاثُر، فلا معنى ولا هدف.

ومن هنا نعرف كم حجم المعاناة التي يعيشها أصحاب المبادئ والقِيَم في مجتمعات وأوساط تستهين بتلك المبادئ وتحكم بالعقوبة – ولو بطريقة غير مباشرة – على أصحابها، وهذا يعمِّق المأساة ويعوق التغيير [1].

إن قيام الحضارات وازدهارها، وتأخُّرها وسقوطها، إنما يرجع إلى المعنى الذي يستقرُّ في أذهان أفراد الأُمَّة عن القِيَم المختلفة في الحياة ، وحضارات الأمم تَعتمد على أمور أربعة، هي: الدين، والعلم، والفن، والاقتصاد، إذ لا تَخلو أُمة من الأمم من أيٍّ واحدة منها، فالاقتصاديات أساس المعيشة اليوميَّة، التي لا بدَّ منها في توفير الغذاء والكساء والمسكن، وغير ذلك من الضروريَّات الأوَّليَّة، وما يَتبع ذلك من كماليات، والفنون كالأدب من شعر وأقاصيص، وروايات، من الأمور التي تُشبع خيال الشعوب، وتُعَدُّ طبيعيَّة في البشر منذ ظهور الإنسانيَّة على مسرح التاريخ، والعلوم من رياضيات وطبيعيات لازمة في كلِّ أُمَّة، مهما تَكُن هذه العلوم بدائية تقوم على التجارب، أو راقية ترتفع إلى مستوى استخلاص القوانين والنظريات، وكيف تخلو أُمَّة من معرفة بالطب والدواء المصلِح للأبدان، أو الهندسة التي تنفع في بناء الدور، وإقامة الجسور، أو الحساب المفيد في العَدِّ والإحصاء، والبيع والشراء، وغير ذلك، أو الدين الذي هو الغذاء الرُّوحي لأفراد الأُمة، والدواء المصلِح للنفوس، والرابطة التي تؤلِّف بين القلوب؟

وعندما جاء الإسلام وجَدَت العرب نفسها بإزاء حضارتين كبيرتين، هما: حضارة الفرس، وحضارة الروم، وكان لكلٍّ منهما نظرة إلى الأمور الأربعة التي تقوم الحضارة عليها، ومَسلك خاص تُجاه الدين والعلم، والفن والاقتصاد، أو بعبارة أخرى كان للفرس وللروم قِيَمٌ تسود كلَّ شعب منهما، وبها يَتمسَّك الأفراد في كلٍّ منهما، وكانت تلك القِيَم هي التي توجِّه سلوك الناس في ذلك

[1] - http://www.alukah.net/Sharia/0/8480/.

الحين، وفي الوقت نفسه كانت للعرب في الجاهلية قِيَم أخرى تُشَكِّل حضارة مختلفة من تلكما الحضارتين.

أما الفرس، فكانوا يَدينون بإلَهَين، فهم من الثنويَّة [1]، لا من أهل التوحيد، وأحدهما إله الخير، والآخر إله الشر، وكلاهما يحكم العالَم، ويتنازعان فيما بينهما، ولكنَّ الغَلَبة في نهاية الأمر للخير على الشر، وهم بعد ذلك أمة ماديَّة غارقة في عبادة الشهوات والإقبال عليها، وانتهاب الملذَّات، ومن أجْل ذلك كانت القيمة العُليا عندهم هي الإسراف في الترف والنعيم ، يصوِّر ذلك تاريخهم الذي يحكي حال إيوان كسرى وعَظَمته، كما يصوِّر حال شعبهم الذي مزَّقته المنازعات، ووثوب الأمراء بعضهم على الآخر؛ طمعًا في الحكم والسلطان، هذا بالإضافة إلى استعلاء الطبقة الحاكمة على الشعب واستعباده؛ مما ترَك الأمة في حالة من التمزُّق والتفكُّك؛ نتيجة انسياقهم وراء نزعات الشر والعدوان، واتِّباع نزغات الشيطان، ولكنَّهم مع ذلك قد اشتهروا بتدوين الدواوين، ووَضْع نظام مُحكم للحكومة، تترتَّب في سُلَّم منازل من لَدُن كسرى، ثم وُزرائه وكُتَّابه، وعُمَّاله الذين يُشرفون على أعمال السلطان، وبذلك كانت الأبَّهة والنُّضج القِيَمة الكبرى التي يتطلَّع إليها كلُّ فردٍ من أفرادهم، وما تزال هذه الخصلة موجودة في نفوسهم إلى اليوم؛ لأنها أصبحَت فيهم بمنزلة الطبع .

أمَّا الروم، فقد كانت حضارتهم من طراز آخرَ؛ لأنها قامت على قِيَم أخرى تُباين القِيَم التي كانت سائدة عند الفرس، وفي زمان ظهور الإسلام كانت الروم قد اعتَنَقت المسيحية، وأصبَح الدين عندهم هو القيمة العُليا التي طَرَدت بعد انتصارها جميع القِيَم الأخرى، وأصبَح الدين شُغلهم الشاغل، ولكنهم مع الأسف تفرَّقوا شِيعًا، تُكَفِّر كلُّ فرقة صاحبتها، وتغلو في حربها.

واشتَهر من أمر هذه الفرق ثلاثٌ، هي :الملكانية في القسطنطينيَّة وبعض مدن آسيا الصغرى والشام، واليعقوبية في مصر وفي جنوب الشام، والنساطرة في العراق، وكانت القسطنطينية تأخذ بالمذهب الملكاني واشتدَّت في تعذيب رجال الدين في مصر؛ لتمسُّكهم بالمذهب اليعقوبي، وغَلَت في هذه الخصومة غُلوًّا شديدًا.

ومعنى ذلك أنَّ حرية العقيدة لَم تكن مكفولة لأهل مصر، وليس أعز على النفس من صيانة الحرية، وبوجه خاص حرية العقيدة، وكان ذلك الاضطهاد من الأسباب الرئيسية التي جعَلَت الشعب المصري يرحِّب بالعرب الفاتحين، ويَستقبلهم استقبال المحرِّر لهم من رِبقة الاستعباد.

[1] – عن عقائد الثنوية أنظر : القاسم الرسى ، الرد على الثنوية والمجوس وابن المقفع ، تحقيق إمام حنفى عبدالله ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1420هـ/ 200م ، ص88 وما بعدها .

وقد انعكسَت هذه الخصومات الدينيَّة على عرب الجزيرة، وصوَّر القرآن الكريم اختلافَ أهل الكتاب فيما بينهم ممن كانوا يَدينون بالنصرانيَّة فى سورة المائدة [1]، أما معظم العرب فكانوا عَبَدَةَ أصنامٍ، كما كان الفرس يعبدون النيران، وكان منهم الدهريَّة [2]، وهم الذين يَدينون بالمادية في الاصطلاح الحديث؛ أي: لا يؤمنون بخالق، ولا ببعثٍ ولا بيوم آخر، أمَّا الذين كانوا يؤمنون بوجود الله، فكانوا يُنكرون البعث في الآخرة.

كذلك فقد انهارَت القيم العلمية، ففي الفرس علا شأنُها بعض الوقت حين أُنْشِئت مدينة "جند يسابور"، واستقدَم كسرى فلاسفة اليونان وعلماءهم، وأنزلَهم في تلك المدينة، ولكنَّ العلوم – من طب وهندسة وفلك – بَقِيت في أيدي النصارى بمدينة "جند يسابور"، ولَم تَجتذب تلك القيمة إليها قلوب الفرس؛ لعدم عنايتهم بالفلسفة والعلم، اللهم إلاَّ التنجيم الذي كان سائدًا فيهم قبل أن يأخذوا عِلْمَ الفلك عن اليونان.

وأما الروم أنفسهم، فإنَّ استغراقهم في المنازعات الدينية [3] صرَفَهم عن العناية بالفلسفة والعلوم.

وأما الفنون، فقد اصطبَغَت في فارس بتراث أهلها؛ من بناء فخمٍ، ونَقْش على السجاجيد يحكي صور الطبيعة، وبخاصة زهور الربيع ، وموسيقى تعزف وقت الفراغ عند السادة الحُكَّام، وحكايات وأقاصيص تغزو خيال الصِّبية، وتحكي فلسفتهم في الصراع بين الخير والشر.

---

[1]- من ذلك قوله تعالى : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76).

[2]– عنهم بالتفصيل أنظر : جمال الدين الأفغانى ، رسالة فى الرد على الدهريين ، ترجمها عن الفارسية الإمام محمد عبده ، كتاب الهلال.

[3]– عن هذه الخلافات حول طبيعة السيد المسيح وظهور العديد من المذاهب والفرق النصرانية أنظر : ستيفن رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997م ، ص133 وما بعدها .

واصطَبغت الفنون عند أهل الروم بالدين، وانعكَس ذلك في كنائسهم وطريقة بنائها وتزيينها، وفي صُوَر المسيح والقدِّيسين[1].

وأما العرب فلم تَزَل القيمة الكبرى لفنِّهم هي الشعر، الذي ما كان يُجاريهم فيه أحد في ذلك الزمان، والبلاغة التي تبينُ عن الفكر بأجلى بيان.

ظهَر الإسلام في هذه الزحمة من القِيَم المختلفة، التي لا تَبغي خير الإنسانية في عمومها، ولا كرامة الإنسان وحريته وتحريره، فقذَف الإسلام بقِيَمٍ جديدة، أولها القيمة الدينية الكبرى، وهي توحيد إله واحدٍ خالقٍ لهذا العالم، مدبِّر له، يريد بالإنسان الهدى والخير، ويرسم له طريق الصلاح، ويُحذِّره من السَّيْر في طريق الفساد، ويُذَكِّره بما وعَد الله المتَّقين من جنات تجري من تحتها الأنهار، وما توعَّد به الكفار والمشركين والمفسدين من عذاب شديد في نار جهنَّمَ، وبئس المصير.

وثانيها كرامة الإنسان، ومساواته وحريَّته، فلا فضلَ لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ولا فضلَ لحاكم على محكوم إلاَّ بالعمل الصالح، فلا طبقيَّة في الإسلام تمجِّد طبقةً على أخرى، أو ترفع شعبًا على آخر، بل جميع الناس سواء في الإنسانيَّة، لا يوجد أسيادٌ وعبيدٌ، ولا أحرارٌ ورقيق.

وكانت تلك القيمة الإنسانيَّة جديدة على العالم كله شرقًا وغربًا، على الفرس والروم والعرب على حدٍّ سواء؛ ذلك أنَّ الإنسانيَّة ظلَّتْ أجيالاً طويلة تؤمن بانفصال الناس على الأقل طبقتين، هما: الأسياد الذين يحقُّ لهم تولِّي مناصب الحكم والسلطان، والعبيد الذين قُضِي عليهم أن يَشْقَوْا في القيام بالأعمال اليدويَّة المختلفة؛ لينعمَ بثمرات عملهم طبقةُ الأسياد.

لهذا السبب رحَّبت الشعوب أعظمَ ترحيب بالإسلام، وأقْبَلَت عليه من كلِّ مكان؛ لأنها رأتْ فيه المخلِّص لها من الذلِّ والاستعباد ، وهذا يفسِّر لنا السرَّ في انتشار الإسلام بتلك السرعة المُذْهلة، ولَم يكن انتشاره بقوَّة السلاح بمقدار ما كان من قوَّة القيمة الحضاريَّة الجديدة.

وبذلك تغلَّبت القِيَم الإسلامية على القِيَم الفارسيَّة واليونانيَّة، وكان لا بدَّ لها من النصر في معركة إنقاذ الإنسانيَّة، والأخْذ بيدها في طريق التقدُّم والرُّقي.

---

[1]- وقد وصل الأمر إلى صراعات وخلافات بين مؤيدى ومناهضى الصور " الأيقونات " وعرف عصرا بأكمله بعصر مناهضة عبادة الأيقونات شمل الفترة من (717م-867م) . لمزيد من التفاصيل عن ذلك أنظر : إبراهيم على طرخان ، الحركة اللاأيقونية فى الدولة البيزنطية ، ص6 وما بعدها ؛ حسنين محمد ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1414هـ/ 1993م ، ص102 وما بعدها .

ولَم يكد الإسلام يستقرُّ في النفوس بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين، حتى مضَت الحضارة قُدمًا إلى الأمام بخطًى سريعة ، وكان الجامع الأزهر أحد معالم هذه الحضارة منذ تأسيسه فى القرن الرابع الهجرى إلى يوم الناس هذا ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى الفصول اللاحقة .

ويمكن تلخيص القيم الاقتصادية التي جاء بها الإسلام فيما يلي:

1 – تمجيد العمل اليدوي والحثُّ عليه واحترام صاحبه.

2 – إقامة العلم من أيِّ نوع كان؛ زراعة، أو صناعة، أو تجارة، على أساس من الإتقان، وبلوغ العامل فيه الكمالَ.

3 – إقامة العمل على أساس أخلاقي ديني، وهو التقوى والأمانة والإخلاص، مما يَنبعث عن ضمير العامل، لا عن قَسْرٍ وخوف.

4 – مراعاة المبدأ الإسلامي فيما يختصُّ بالمال، وهو الاقتصاد؛ أي: التوسُّط بين الإسراف وبين التقتير.

ثانيا : التعايش السلمى : يعنى المواطنة، أو السلم الأهلى، أو قبول الآخر فى الاصطلاح الحديث ، إذ إنه مفهوم جديد فى العلاقات الدولية دعا إليه خروتشوف عقب وفاة ستالين ومعناه انتهاج سياسة تقوم على مبدأ قبول فكرة تعدد المذاهب الإيديولوجية والتفاهم بين المعسكرين الشرقى والغربى في القضايا الدولية .

وقد عرَّفت السياسة الدولية مصطلح التعايش السلمي، على أنه قيام تعاون بين دول العالم، على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية.

إن الإسلام يسمح بالتعايش مع الأديان السماوية في أمان وسلام فقد أوجب الإسلام الإيمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم ، فقال الله تعالى : "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" ، وفي التاريخ الإسلامي الدليل الواضح على ذلك؛ فقد عقد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – العهود والمواثيق مع اليهود، التي تضع أسس العيش المشترك، مع الاحتفاظ بدينهم وبشريعتهم التوراتية. كما تعامل الصحابة والخلفاء مع النصارى فى مواطن عديدة.

وينبغي أن ينطلق هذا التعايش ابتداء من الثقة والاحترام المتبادلين ، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، في المجالات ذات الاهتمام المشترك، وفيما يمس حياة الإنسان من قريب، وليس فيما لا نفع فيه، ولا طائل تحته.

إننا نفهم أن الإسلام لم يأت لإلغاء حق الآخرين المخالفين له في الوجود .. وأن الإسلام لم يفرض نفسه على الناس كرهاً حتى يدخلوا فيه .. (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[البقرة : 256] .. ولكن الإسلام العظيم انطلاقا من تقريره لسنة الاختلاف الكونية أرسى مبدأ التعايش السلمي بين المسلمين ومخالفيهم في العقيدة والدين ما لم يعتدوا فأوجب على المسلمين قبول مسلك السلام ممن سلكه نحوهم حيث قال تعالى:

(وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

إن مبدأ التعايش السلمي وقبول الآخر كما أنه سنة المسلمين مع غيرهم في بلاد الإسلام فكذلك هو سنة المسلمين مع غيرهم في غير بلاد الإسلام .. كما كان سنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض الحبشة .. فلقد عاش أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلاد الحبشة فلم يخرقوا لها نظاماً .. ولم يخالفوا لها قانوناً ولم ينتهكوا سيادتها ولا أخلوا بأمنها .. وذلك كله مع حفاظهم على دينهم واستمساكهم بتوحيدهم لربهم .. والتزامهم شرائع الإسلام في إطار علاقة رشيدة من حسن الجوار. فالتعايش السلمي مع المخالفين في الدين والعقيدة لا يعنى بحال اعترافاً بما عليه المخالف من الكفر أو إقراراً لما يحمله من الباطل .. فهذا ما لا يقول به مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن المقصود هو الاعتراف بحق هذا المخالف في الوجود وحريته في اختيار دينه وعقيدته دونما إكراه .. مع الاحتفاظ بحقنا في مخالفته وعدم إقرار ما يخالف الإسلام.

واتساقا مع مبادئ الإسلام فإننا نؤمن بالتعايش بدلاً من التقاتل .. والتفاهم بدلاً من التطاحن .. والتلاقي بدلاً من التصادم نؤمن بتلاقي الحضارات لا صدام الحضارات .. وتواصل الحضارات لا تصارع الحضارات فالإسلام دين انفتاحي يتفاعل مع الآخرين ويتعايش معهم فهو لا يكرس العزلة ولا يؤيد الرهبانية ولكنه يؤمن بالحوار والتفاعل المثمر والبناء ومع إقرار الإسلام بسنة التدافع القدرية فأنه يقر مبدأ تدافع الحضارات وتلاقيها ، وما التعايش والحوار بين الحضارات إلا صورة من صور التدافع السلمي الحضاري .. وهي الأساس الذي اعتمده الإسلام لضبط علاقته بالحضارات

الأخرى .. بما يخدم الهدف الأساسي من التدافع الحضاري وهو عمارة الأرض ومنع حدوث الفساد (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ).

ثالثا : الواقع لغةً واصطلاحًا :لم تعرف اللغةُ العربيةُ مفهوم الواقع كمفهوم مجازي حديث، يدل على ما يدل عليه عند سماعِه لدى الإنسان العربي المعاصر، وإن اشترك مع المعنى القديم في شيءٍ مِن معناه الحديث.

لغة :يُفيد الفعل الثلاثي" وَقَعَ"، واشتقاقاته" يقع، وقعًا، ووقوعًا :"السقوط، وإنزال الشيء على الشيء ، وهذا ما يُفيده في الكلام حقيقة، كأن تقول: وقع الطير على أرض أو شجر، أو وقع المطر على الأرض ، أو وقعت الدواب ؛ أي: ربضت على الأرض... إلخ . أما في الاستخدام المجازي، فَوَقَعَ بمعنى: حصول الشيء وثبوته، كالقول: وقع الحق؛ أي: ثبت، ووقع الحق عليه ؛ أي: ثبت، ووقع في الشرك : حصل فيه.

ومن هنا فمفردة الواقع ضمن هذا السياق المجازي تعني: الحاصل ومنها النازل، ومنها كلمة الواقعة؛ أي: النازلة، ووقائع؛ أي: نوازِل ، وقال الراغب الأصفهاني : "ولا تقال إلا في الشِّدَّة والمكروه" ، وقد عُرفت الوقائع عند العرب بـ(أيام العرب)، ودلَّتِ الواقعةُ على" النازلة من صنوف الدهر"، وبهذا سمَّى القرآنُ يوم القيامة بالواقعة في قوله تعالى :" إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ " (الواقعة: 1)؛ أي:القيامة بما فيها من شِدَّة وأهوال.

والواقع أو الوقائع بمعنى النوازل – في الاصطلاح التقليدي للغة العربية – له دلالة مرتبطة بفعل" وَقَعَ"في اللغة؛ أي: ما حَصَلَ وتَعَيَّن، وأصبح عيانًا منظورًا، أو خبرًا مُتَحَصِّلاً لواقعة أو نازلة أو حدث، وهو بذلك وقع في زمن محصور وغير ممتد.

وأمَّا" الواقع"، فنعرِّفه بـ: ما يحيط بالإنسان والجماعة من حال ومجال وعصر، ويؤثِّر فيهما على سبيل التشكيل الراهن ضمن زَمَن مُتَحَرِّك، و"الواقع"بذلك: هو حال الإنسان والجماعة بما يحملانه من قِيَم وأفكار، وطبائع وخصائص وسمات، ضمن مجالات يحياها كلٌّ منهما ويعيشانها، من اقتصاديَّة، وسياسيَّة، واجتماعيَّة، وثقافيَّة، وَفْق المرحلة التاريخيَّة العامَّة التي تَمُر بها المجتمعات بسماتها المختلفة، وهو ما نطلق عليه العصر، والحال والمجال والعصر معيش من قبل الإنسان والجماعة في

زمن ممتد متحول، والواقع بذلك ليس إلا معاصَرة الحال والمجال، وتشكلهما في صيرورة الزمن المعاش.

رابعا : المأمول : أَمَّلَ يؤمِّل ، تأميلاً ، فهو مؤمِّل ، والمفعول مؤمَّل . أَمَّل فلانًا خيرًا وعده به ، جعله يترقّب الحصول عليه " . أَمَّله في التَّفوُّق : رغَّبه فيه " أَمَّله في المستقبل [1]".

1 – المقرى ، المصباح المنير ، مادة أمل ، ص37.

obeikandl.com

obeikandl.com